روائع القصص العالمية

الفرسان الثلاثة

ألكسندر دوما

أكاديميا

روائع القصص العالمية

الفُرسانُ الثَّلاثَة

إعداد

نورما نابلسي

أكاديميا
بيروت - لبنان

الفرسان الثلاثة

حقوق الطبعة العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2013

ISBN: 978-9953-37-915-9

Original title «THE THREE MUSKETEERS»

Copyright: © MACAW BOOKS

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً.

الناشر

Academia International

Verdun,Rashid Karameh St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

أكاديميا إنترناشيونال

فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيبلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 2140 1103 لبنان

Tel. (+961 1) 800811 - 862905 - 800832 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

E-mail academia@dm.net.lb بريد إلكتروني
info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com
www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش م.ل
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A.L.

المحتويات

دارتانيان 4
مسيو دي تريفيل 7
ثَلاث مُبارزاتٌ 10
مكيدَةٌ في البَلاط 13
جواسيسُ الكاردينال 15
عودَةُ بوناسيو 21
الرِّحْلَة 23
الحفلَةُ الرَّاقِصَة 25
زوجَةُ آتوس 27
لا روشيل 31
منافِعُ المداخِنِ المَعْدِنيَّة 32
شجارٌ زَوْجيّ 34
الأَسر 36
الهُروبُ والقَتْل 38
جريمَةٌ تِلْوَ الأُخْرَى 39
المُحاكَمَة 43
الخاتِمَة 46

دارتانيان

في صَباحِ أحدِ الأيامِ الجميلةِ، أبْصرَ حَشْدٌ من النّاس شابًّا يتّجهُ على ظَهْرِ حِصانِه نحو بلدةٍ فرنسيَّةٍ صغيرَة، هي مونغ. وفيما كان مارًّا في الجِوار، أوقف النّاسُ أعمالَهُم وحَدّقوا به ثمَّ أغْرَبوا في الضَّحِك. لكنَّ الشّابَّ لم يأْبَهْ بِهِم، بل تابعَ سيرَهُ شامِخًا برأسِهِ عاليًا، على ظَهْرِ مُهْرٍ كان كَهْلَ المَظْهَر، هَزيلَ البِنْيَة، مُضْحِكَ الشَّكل، لا تَتَخلّلُ ذيلَهُ وبرَةٌ واحِدَة. ومع ذلك، لم يَبْدُ الفارِسُ الشابّ مُحْرَجًا ألبتّة من مَنْظَرِ مُهْرِهِ الطَّريف.

كان اسمُ الشاب دارتانيان، وهو من أبناءِ مِنْطَقةِ غاسْكوني، وكانتْ تَشُعُّ من عَيْنَيه نَظْرَةٌ تَنُمُّ عن فَخْرٍ واعْتزاز. وكان الشاب يشُقُّ طريقَهُ إلى باريس حيثُ كان يَعْتَزِمُ الالتحاقَ بفُرْسانِ المَلِك، وهم نُخْبَةٌ من الجُنودِ الذين كانوا الحُرّاسَ الشَّخْصيين لمَلِكِ فرنسا لويس الثّالث عَشَر. لا تزالُ صَدى كَلِمات والدِه تَرِنُّ في أُذُنَيْه وهو يقول: «بُنيّ، تَذكَّر أنَّ الشَّجاعَةَ وحدَها هي مفتاحُكَ إلى النَّجاح. كُنْ شُجاعًا لأنَّك من عائلةِ غاسْكون ولأنّك ابني، وإياكَ والانْسِحاب من أيِّ مبارزَةٍ كانت».

وإلى جانبِ كلماتِ والِدِه الحكيمَة، وُهِبَ دارتانيان أيضًا مبلغاً من المال، وسيفاً كانتْ عائلَتُهُ قد توارَثَتْهُ أبًا عن جدّ، ناهيكَ عن رسالَةِ توصِيَةٍ موجَّهة إلى السيّد دي تريفيل، قائِدِ الفرسان.

عندما ترجَّلَ دارتانيان عن ظَهْرِ حِصانِه أمامَ مدخَلِ الفُنْدق، رَمى ثلاثَةُ رجالٍ كانوا يَقِفونَ خارِجًا مُهْرَهُ الهزيلَ بنَظْرَةٍ ساخِرة، ثمّ راحوا يَتَلوّون من الضَّحِك.

«سيدي»، سأل دارتانيان، «ما الذي يُثير ضِحْكَك؟» لكنَّ الرَّجُلَ الذي كان يُغَطّي عينَهُ اليُسرى برُقْعَةٍ سوداء، أَوْلى دارتانيان ظهرَهُ وأَلْقَى بنكْتَةٍ أُخرى على رِفاقِه، وسَرعَان ما عَلَتْ ضَحكاتِهم في الفِناء. هذه المرّة، كان دارتانيان قد تعرَّضَ لإهانَةٍ كَبيرةٍ لا لَبْسَ فيها.

وما كان ليَضْرِبَ صَفْحًا عنها بسُهُولَة، فاسْتلَّ سيفَهُ، وصرخَ قائلًا: «قاتلني». رنا الغريبُ إلى دارتانيان في عَجَبٍ ثمّ قال، «كنتَ لتغدوَ فارِسًا ممتازًا من فُرسانِ جلالَةِ المَلِك، الذي يبحَثُ في كلِّ ركنٍ من المَعْمورَةِ عن رِجالٍ شُجعانٍ كأمثالِك، لخَوْضِ غِمارِ الحَرْب».

ولكن سَرعانَ ما شَهَرَ دارتانيان سيفَهُ وهَجَمَ على الغريب الذي ما لَبِثَ أن تَنَحّى جانبًا. بيدَ أنّ أَصْحابَ هذا الأخير باغتوا دارتانيان وانهالوا عليه بالعُصِي، ثمّ انضَمَّ إليهم الغريب.

قاتَلَهُم دارتانيان بِبَسالَةٍ كَبيرة، ولكنَّهُ لم يتمكَّن مِنَ الصُّمودِ طويلًا أمامَ وابِلِ الضَّرباتِ التي كانَتْ تُكالُ إليه. ثمّ تَلقّى ضَربَةً قويَّةً على رأسِهِ جَعَلَتْه يَخُرُّ أرضًا قبل أن يُغْشَى عليه.

عادَ دارتانيان إلى رُشده بعد فترةٍ من الوَقْت. وكان رأسُه مُضَمّدًا. نهضَ من مكانه
وتوجّهَ بصُعوبَةٍ إلى نافِذَةٍ كانَتْ تُطِلُّ على الشارع. فرأى في الأسفلِ الغريبَ مُمْتطيًا فرسَه
يتبادَلُ أطرافَ الحديثِ مع امرأةٍ جميلَةٍ جالِسَةٍ داخِلَ إحْدى العَرَبات.
«إذًا يأمُرُني جلالَتُه بأن –»، قالَتِ السَّيدة.
فقاطَعَها الغريبُ قائِلًا: «عودي أدراجَكِ إلى إنكلترا يا سيّدتي، وأحيطي صاحِبَ الغِبْطَةِ عِلْمًا،
عندما يُغادِرُ الدّوق لندن. والآن، عليّ العودَةُ الى باريس أيضًا».
ثمَّ تسلَّقَ عربتَه بينما راحَ الحوذِيُّ يجلِدُ الخيول. وبعد بُرْهَةٍ، افترَقَ الاثنان
ومَضى كلٌّ منهما في اتّجاهٍ معاكِسٍ للآخر.
استعادَ دارتانيان حالَتَهُ الصّحيَّة بعد فَتْرةٍ وجيزَة،
ليَكْتشِفَ أن رِسالَةَ التوصِيَة ليستْ موجودَة. في ما بعد،
أفادهُ مديرُ الفندقِ أنّ الرَّجلَ الغريبَ قد أقدَمَ على
سرِقَتِها.
«سوف أجعلُهُ يدْفَعُ ثمنَ ذلك»، قال دارتانيان،
ثمّ امْتَطى مُهْرَهُ وبلَغَ باريس من دونِ مَشَقَّة.

مسيو دي تريفيل

في صَباحِ اليوم التّالي، دخَلَ دارتانيان مقرَّ مسيو دي تريفيل، حيثُ كانتِ الباحَةُ تعِجُّ
بالفُرْسان، هنا يتبادَلُ بعضُهُم أطرافَ الحديث، وهناكَ بعضٌ آخرُ يقَهْقِهُ ويمْرَح. وفي بقْعَةٍ
أُخْرى، يتبارَزُ نَفَرٌ أو يُلْقون النّكات ويَسْخَرون من حَرَسِ الكاردينال. وكان الخَدَمُ أيضًا
يُهَرْوِلون في كلِّ مكان، هذا يجْلبُ الرّسائل وذاكَ يحمِلُها.
تقدّمَ دارتانيان بعَصَبيَّةٍ نحو مَكْتَبِ مسيو دي تريفيل. وسَرْعَانَ ما أُعْلِنَ عن قدومِه إلى
المونسنيور دي تريفيل، ودُعيَ إلى الدّاخل.
انْحَنى دارتانيان إلى السيّد دي تريفيل وظلَّ واقفًا بالقُرْبِ من الباب. أومأَ قائِدُ الفُرسان له
طالِبًا منه الانتِظار. ثم صاحَ بصَوْتٍ عال قائلاً: «آتوس! بورتوس !أراميس!»
على الفَوْر، هُرِعَ اثنان من الفُرْسان إلى الدّاخل. حَمْلقَ دي تريفيل بهما، وقالَ «لقد
أخْبَرَ الكاردينالُ المَلِكَ في الأمْسِ أن
بِضْعةً من فُرْسانِ الأخير قد افْتَعلوا
أعْمالَ شَغَبٍ في الأوَّلِ من أمس،
فاعتَقَلَهُم حَرَسُ الكاردينال».

توقَّفَ بُرْهةً ثمّ تابَعَ قائلاً: «لقد كنتُم من بينِ الفرسانِ المَوْقوفين !لا تُنْكِروا ذلك. وآتوس، أين هو؟»

«إنّه مُصابٌ، ومتوعِّكٌ جدًّا، يا سيدي»، قال أراميس.

«على الأرجَحِ أنَّه أُصيبَ في أعمالِ الشَّغَبِ التي ذَكَرتُها للتو»، قال السيد دي تريفيل.

«سيدي، كان الصِّراعُ غيرَ مُتكافئ، ستَّةٌ من حُرَاسِ الكاردينال ضِدَّنا نحن الثلاثة»، قال بورتوس.

«لقد أُلْقيَ القَبْضُ علينا بطُرُقٍ غير عادِلَةٍ وأصيبَ آتوس بجُروحٍ بليغَة.»

«أي أنّ الكاردينال أَطْلعني على الحَقيقَةِ ناقِصَةً»!، قال دي تريفيل في حَيْرةٍ.

إذّاك، دخلَ عليهم فارِسٌ نبيلُ الطَّلْعَةِ وسيمُ الوَجْه.

فصاحَ دي تريفيل: «آتوس»!. «أرْسَلْتَ ورائي، يا سيدي؟»، سألَ آتوس بِهُدوء.

«أجل، وكنتُ أقولُ لهؤلاءِ السّادة»، أجابَ القائِد، «بأنني أُحظِّرُ على فُرْساني أن يُعَرّضوا حياتَهُم للخَطَر من دونِ داع، وبأنني أيضًا فخورٌ جدًّا بكلِّ فردٍ منكُم جميعًا». قال هذا، ثمَّ صَرَفَهُم.

بعدَ لحظَةٍ، التفتَ السيد دي تريفيل إلى دارتانيان، وقال مبتسِمًا:

«عفوًا، كيف يَسَعُني خِدْمَتُك، يا بني؟»

«مسيو»، أردَفَ دارتانيان «أريدُ الانضِمامَ الى فُرْسانِ الملك. وقد كان في حَوْزَتي رسالَةُ تعريفٍ، ولكنّها سُرِقَتْ منّي».

«أيها الشاب، كي يُصْبحَ المرءُ فارِسًا، عليهِ بادئ ذي بدءٍ أن يخْدِمَ في فَوْجٍ أَدْنَى رتبةً، وأن يخْضَعَ في ما بعد لِدَوْرةٍ تدريبية. سوفَ أكتُبُ لك رسالَةً لمديرِ الأكاديمية المَلَكية»، قال دي تريفيل، «ولكن أَخْبِرْني كيف فَقَدْتَ رسالَةَ التَّوصيَة؟» إذاك، سَرَدَ له دارتانيان أَحْداثَ مونغ.

ثم سألَهُ دي تريفيل عن الرَّجُلِ الغامِضِ وعمّا سَمِعَهُ من التّعليماتِ التي أعطاها للمَرْأة، فأخبرَهُ دارتانيان بما حَصَل، مُشَدّدًا على أنّه لن يَهْدَأَ له بال قبل أن يعثُرَ عليه.

«حذارِ أيها الشّاب!» صاحَ تريفيل قائلاً «انسَ أمرَه.»

لكنَّ تحذيرَهُ ذَهبَ سُدىً، وما كاد يُبصِرُ دارتانيان الغريبَ في الشّارع حتى استأثَرَ به الغَضَبُ وهبَّ خارِجًا، تاركًا دي تريفيل في حَيْرةٍ وارْتِباك.

ثَلاث مُبارزاتٌ

وبينما كان دارتانيان ينزِلُ الدَّرجَ خَبَبًا، ارْتَطَمَ بآتوس وضربَ كَتِفَهُ المَجْروح. فصَرَخَ آتوس من شِدّةِ الألَم.

«عفوًا»، قال دارتانيان، «أنا على عَجَلةٍ من أمري» لكنّ قبضَةً من حَديدٍ أطْبَقَتْ عليه.

«تصطدمُ بأحدِهِم وتقولُ له ‹عفوًا› ؟ أتظُنُّ ذلك كافيًا؟» قال آتوس، وقد انقبَضَتْ أساريرُه.

«لاقِني ظُهْرًا خلفَ دير الكرمليين لنَتبارَز.»

أومأَ له دارتانيان وهُرِعَ نحوَ الفِناء.

كان بورتوس يَتحدّثُ عند بوّابَةِ الشّارع، مع أحَدِ الجُنود. وعندما دَنا دارتانيان مِنْهما، هَبّتِ الريحُ وملأتِ مِعْطَفَ بورتوس، فعلَقَ به دارتانيان. وعندما تَمكّن من نَفْضِه عنه، وجدَ بورتوس يتفرَّسُ به.

«انتبِهْ لخُطواتِك»، صاحَ به بورتوس. «عفوًا يا سيدي. كنتُ على عَجَلَةٍ من أمري»، أجابَهُ دارتانيان.

«يا لكَ من مُتهوِّر!» هدرَ بورتوس. «لاقِني في السّاعَةِ الواحِدَةِ خَلفَ حدائِقِ لوكسمبورغ».

«جيد جدًا»، أجابَ دارتانيان ثمّ انصرَفَ مُهَرْوِلاً إلى الشّارع، لكن الغريبَ كان أصبحَ أثرًا بعد عَيْن.

عندما باتَ دارتانيان بمُفردِه، أدركَ أنّه قد خلّفَ انطِباعًا سيئًا لدى السيّد دي تريفيل، لا بل اجتذَبَ لنفسِه أيضًا مُبارَزَتين مع فارِسَيْن يملِكان من القوّةِ ما يَكْفي للإجهازِ عليهِ في طَرْفَةِ عَيْن.

بعد بُرْهَة، رأى دارتانيان أراميس يتحدَّثُ إلى ثلاثَةٍ من السّادة في الشّارع. لم يشأْ دارتانيان إزعاجَهم، ولكنّه عندَما لمحَ أراميس يُسقِط سَهْوًا مِنديلاً له ويَخْطو عليه، اندفَعَ بسُرْعةٍ نَحْوَهُ وسَحَبِ المِنديلَ من تحتِ قدمِهِ ثمّ سلَّمَه إيّاه قائلاً: «سيدي، لقد أوقَعْتَ منديلَك».

إذّاك، انتزَعَ أراميس المِنديلَ من دارتانيان في سَخَطٍ، فأدركَ الأخيرُ على الفورِ بأنّه قد أحرَجَ أراميس. اعتذَرَ دارتانيان منه. لكنّ أراميس أجابَهُ في نَزَقٍ: «الكلّ يعلَمُ أن رَجُلاً نبيلاً لا يَخْطو على مِنديلٍ إلا إنْ أرادَ إخفاءَه، وافِني في السّاعة الثانيةِ خَلْفَ الكنيسَة».

أومأ له دارتانيان في شُجونٍ. وسَرعانَ ما مَضى للقاءِ آتوس.

كان آتوس بانتظارِهِ خلفَ الدَّيْر.

«مسيو»، قال آتوس عندما رأى دارتانيان، «انتظِرْ لبَعْضِ الوَقْت، كي يأتي صَديقان لي ليَشْهَدا على القِتال».

«ليسَ لديَّ الوقْت لإضاعتِهِ يا سيّدي»، قال دارتانيان.

إذاك، أبصَرَ آتوس بورتوس وأراميس مقبلَيْن نحوهما. وسَرعَان ما أَيْقَنَ دارتانيان أنّه كان سيُبارِزُ كلاًّ من بورتوس وأراميس على حدٍّ سواء. على الفور، شُهِرَتِ السّيوفُ وبدأَتِ المُبارَزَة.

ولكن فيما كان القِتالُ مُحتدِمًا، أبْصرَهُم حَشْدٌ من حَرَسِ الكاردينال الذي كان يَنْهى عن المُبارزات.

فقال أراميس: «سوف يكون علينا محاربَتُهُم لتجنُّبِ الاعتِقال».

«أيها السّادة، قد لا أكون فارسًا، ولكنّني سوفَ أقاتِلُ إلى جانبِكم»، هتَفَ دارتانيان قائلاً.

وهكذا، سَرعانَ ما هَزَمَ الفُرسانُ حَرَسَ الكاردينال. فأشادَ الفُرسانُ بدارتانيان.

عندما بَلَغَ هذا الحادِثُ مسامِعَ السيِّد دي تريفيل، وبَّخَ الفُرسان على الملأ، لكنَّهُ أَغْدَقَ عليهِم الثَّناءَ في السِّر. حتى إنَّ المَلِكَ راقَ له الإحْراج الذي تسبَّبَ به الفرسانُ الأربَعَة للكاردينال، فقامَ بدعوَتِهِم إلى قَصْره.

«حسنًا، إن استمرّيتم في الإطاحَةِ بحُرّاس الكاردينال على هذا النّحو، سوف أُضطرُّ لِتَعْيين خَلَفٍ لهم كلَّ ثلاثَةِ أسابيع»، قال الملكُ لويس الثّالث عشر مازِحًا. ثمّ استطرَدَ قائِلاً: «لا بدّ أنّك ذلك الشّاب من آل غاسْكون الذي أَخْبرَني عنه دي تريفيل. أنتَ مجرّدُ صبيّ يافِع». في ما بعد، وعَمَلاً بتَوْصِيَةٍ من المَلِك، عُيّنَ دارتانيان حارِسًا بين حرّاسِ المونسنيور ديسّيسّار.

في تلكَ الأثناء، كان دارتانيان قد استأجَرَ مَنْزِلاً واستَخْدَمَ خادِمًا يُدْعى بْلانْشيت.

مكيدَةٌ في البَلاط

ذاتَ يوم، أقْبلَ إليه السيّد بوناسيو، مالِكُ المَسْكَن.

ثمّ قال: «سيّدي، أنا أعلمُ بأنّهُ يمكِنُني ائْتِمانكَ على سِرّ. لقد خُطِفتْ زوجَتي بالأمْس، وهي واحِدَةٌ من صديقاتِ المَلِكة.»

«لماذا خُطِفَتْ؟»

فأخبَرُه بوناسيو بأنَّ المَلِكة تربطُها علاقةٌ غراميَّةٌ بدوقِ باكينغهام، وبأنّها تَشْتبِه في أنَّ الكاردينال كان يحاولُ اجتِذابَ الدّوق إلى باريس، للإيقاعِ به ووَصْمِها بالعار.

ثم أضاف: «وسوفَ يكشِفُ الكاردينال أَسْرارَ المَلِكة من خلالِ اختطافِهِ لزوجَتي».

فأجابَه دارتانيان: «هذا مُمْكِن». «هل تعرِفُ منِ الذي خَطَفَها؟»

«أجَلْ، لقد شاهَدْتُه. إنّه طويلُ القامَةِ، أسودُ الشَّعر، ويحمِلُ نَدَبَةً على صُدْغِه، ورُقْعَةً على عَيْنِه».

«إنّهُ الرَّجل الذي رأيتُهُ في مونغ!» صاحَ دارتانيان.

ثم أخرجَ بوناسيو رِسالَةً وقال: «لقد تلقَّيْتُ هذه الرّسالَة في الصَّباح.»
فقرأَها دارتانيان بالقُرْبِ من النّافِذة، «لا تَبْحَثْ عن زوجتِك. سيُطْلَقُ سَراحُها عِندما تَنْتَفي الحاجَةُ إليها.»
«أَرْعَبَتْني الرِّسالَة يا سيّدي»، قال بوناسيو. «أرجوكَ ساعِدْني وسوفَ أُعْفيك من دَفْعِ الإيجار». إذّاك، أبْصَرَ دارتانيان رجُلَ مونغ في الشّارع. ولكنَّهُ أَخْفَقَ هذه المرَّة أيضًا في الإمْساكِ به، وعادَ أدراجَهُ إلى الشَّقَّةِ خالي الوِفاض.
بعد مغادَرَةِ المالِكِ بفترةٍ طويلَة، عرجَ الفُرسانُ على دارتانيان.
فقال لهم: «لديَّ أمرٌ لأُطلِعَكُم عليه». ثمّ سَرَدَ لهُم المُشْكِلَةَ التي أَحْدَقَتْ بالمالِك.
«إنَّ خَطْفَ السيدةِ بوناسيو وشُكوكَ المَلِكَة أمران مُترابِطان. لعلَّ الدوق موجودٌ في باريس.»
«إذاً، يجِبُ علينا أن نجِدَ زوجَةَ مالِكِ العَقار»، قال أراميس.
في تلكَ اللحْظَة، اقتحمَ بوناسيو الغُرْفَة وهو يَصيحُ مُسْتغيثًا: «أنقِذوني، أيها السادة، أنقِذوني!» كان يفِرُّ من حَرَسِ الكاردينال الذين كانوا يلاحِقونَه.
«تعالوا، أيها السادة، تعالوا»، قال لَهُم دارتانيان، «إن كنتُم تُريدونَ اعتقالَ هذا الرَّجل فلتَفْعلوا»، ثمّ هَمَسَ لبوناسيو قائِلاً، «لن يَسَعَنا إنقاذُكَ ما لم نكن طَليقين». إذّاك، سَلَّمَ الرَّجلُ المسكينُ نَفسَهُ على مَضَض .

جواسيسُ الكاردينال

بعد اعْتِقالِ السّيد بوناسيو، أبْقَى حَرَسُ الكاردينال منزِلَهُ تحتَ رَقابَةٍ مُشَدّدَة، واسْتَجْوَبوا كلَّ زائِرٍ يَطَأُ المَكان فَرْدًا فَرْدًا. أما دارتانيان، فكانَ يَرَى ويَسْمَعُ كلَّ شيءٍ هناك، من خلالِ ثَقْبٍ موجودٍ في أرضيَّةِ غرفَتِه.
وذاتَ مساءٍ، تَناهَتْ إلى مَسامِعِه خُطىً تتنقَّلُ في أرْجاءِ منزِلِ المالِك. فَهَبَّ إلى الثَّقْب، وسَمِعَ صُراخَ امرأةٍ تَسْتَجْدي العَوْن.
«إنَّني أعيشُ هنا أيها السَّادة! أنا السيّدة بوناسيو»، صَرَخَتِ المَرْأة.
«السّيدة بوناسيو»! غَمْغَمَ دارتانيان. ثمّ تَصاعَدَتْ وتيرَةُ صِياحِ السّيدة تَدْريجيًا، فمَضَى دارتانيان كالرّيح إلى الأَسْفل شاهِرًا سَيْفَه.

وما كادتْ تَنْقضي بِضعُ دقائِقَ حتى شُوهِدَ حَرَسُ الكاردينال يَنْهبونَ الشارِعَ نَهْبًا ويفِرونَ في ذُعْرٍ وخَوْف. إذّاك، انْبَرى دارتانيان نحوَ السّيدة بوناسيو، فقالت له: «سيّدي، لقد أنقذْتَ حياتي».

«سيّدتي»، أجابَ دارتانيان «لم أَقُمْ سِوى بواجب كلّ رجل نبيل».

أَخْبَرها أنَّ زوجَها قد فَزِعَ إليهِ بُعَيْد اخْتِطافِها وأنّه قد قُبِضَ عليهِ لاحِقًا. ثمّ سألَها «ولكن كيفَ تمكَّنْتِ من الفِرار يا سيّدتي؟»

«لقد رَبَطْتُ الشَّراشِفَ بَعْضَها ببعْضٍ وتسلّلْتُ من النّافِذَة». ثم قالتْ «عليَّ العَوْدَة إلى القَصْر. هل يُمْكِنُكَ مُساعَدَتي؟»

«بالطّبع»، أجابَها دارتانيان ثم مَضى برِفْقَتِها .

خلالَ رحلَتِهما، تَرَيّثَتِ السّيدة أمامَ بابِ أَحَدِ المنازِل وقَرَعَتْه، فخرَجَ مِنْهُ فارِسٌ وسرعانَ ما الْتَقَطَ السّيدة بوناسيو من ذِراعِها. اجْتاحَتِ الغيرَةُ قَلْبَ دارتانيان، فقطَعَ عليهِما الطّريق. لكنّ الفارِسَ استَمْهَلَهُ قائِلاً: «سيّدي، دَعْنا نَمُرّ. ليسَ لديَّ عَمَلٌ مَعَك»، قال الفارس. «ولكنْ لديَّ عَمَلٌ مَعَ السّيدة».

إذّاك، قالَتِ السيّدة بوناسيو، «سيّدي، كنتُ قد طَلَبتُ منكَ أن لا تَعْتَرِضَ سَبيلي.»

«إذًا، تَرتَمينَ في أَحْضانِ رَجُلٍ آخر»! قال دارتانيان مُسْتلاً سيفَه، فحذا الفارِسُ حَذْوَه.

«حبًّا بالله، أيُّها اللورد، دَعْكَ من ذلك!»، توسَّلتِ إليهِ السّيدة بوناسيو قائِلَةً.

«لورد «ردَّدَ دارتانيان في عَجَب. «عفوًا، سيّدي، هل أنتَ--»

«سيّدي دوق باكينغهام»، هَمَسَتِ السّيدة بوناسيو. «عليَّ أن أوصِلَهُ إلى المَلِكة». إذّاك، اعْتَذَرَ دارتانيان وتَبِعَهُما إلى قَصْرِ اللّوفر.

هناك، أرشَدَتِ السّيدة بوناسيو الدوقَ إلى غُرفَةٍ مُضاءَةٍ بالشّموعِ ثمّ انْصَرَفَت. بعد بِضْعِ لَحَظات، فُتِحَ البابُ من جَديدٍ ودَخَلَت آن مَلِكَةُ النّمسا.

«لماذا قَدِمْتَ إلى هنا، يا سيّدي؟» هَمَسَتِ المَلِكَة وقد نالَ الخَوفُ مِنْها. «إن الكاردينال لا يَدَّخِرُ وسْعًا للإيقاعِ بك. وبمَجيئِك إلى هنا، تُعَرِّضُ حياتَك للخَطَر وشَرَفي للتَّدْنيس».

«آن، كان عليَّ أن أراك»، قالَ الدوق.

«هذا جُنون»، صاحَتِ المَلِكَة. «أيها اللورد، عليكَ الرَّحيل. لا تَعُدْ قبلَ أن تَحْظَى بحِراسَةٍ جيّدة».

«ولكن أعْطيني شَيْئًا كتَذْكارٍ مِنْك»، سألَها الدوّق.
إذّاك، أعطتْهُ المَلِكَة قِلادَةً مُرصّعَةً باثنتي عشْرَة ماسَة.
«أيّها اللورد، احتفِظْ بهذه كذِكْرى منّي»، قالتْ له.
«في المرَّةِ القادِمة، سوفَ يكونُ لِقاؤنا بعد احتِلالِ فرنسا»، قال الدّوق ثمّ قفل عائِدًا إلى لندن .
في تلكَ الأثناء، كان السيّد بوناسيو يخضَعُ للاسْتِجْوابِ في سِجْنِ الباستيل. وقد اتُّهِمَ بالتآمُرِ ضِدَّ فرنسا بالاتفاقِ معَ زوجَتِه. ولكن عندَما أخْبَرَهم بأنَّ زوجَتهُ اختُطِفتْ على يَدِ رَجُلٍ يَضَعُ رُقْعَةً على عَيْنِه اليُسْرى، سَرعانَ ما صُحِبَ إلى الكاردينال.
«أنا بريء، أيها المونسينيور!»، صرخَ بوناسيو بلا حَوْلٍ ولا قُوَّة. وأخذَ يروي له كلَّ الأحْداثِ التي صادَفَتْهُ منذُ اخْتِطافِ زوجَتِه. وبينما كان يَستفيضُ في الكَلام، دَلَفَ إلى الغُرْفَةِ الرَّجُلُ الغريب، صاحِبُ العَيْنِ اليُسرى المُغطّاة برُقْعةٍ سَوْداء. فصاحَ بوناسيو قائِلاً: «إنّه الخاطِف».
إذاك، نادَى الكاردينال على أحَدِ الحُرّاس وطَلَبَ منه سحبَ بوناسيو بَعيدًا.
فراحَ بوناسيو يصْرُخُ ويقول: «عَفْوكَ أيها المونسينيور!». لكنَّ الأخيرَ لم يُعِرِ احْتِجاجاتِه آذانًا صاغِيَة.

«حسنًا، يا روشفور، لقد عرفَكَ الرَّجلُ»، قال الكاردينال. «لمَ أنْتَ هنا؟»
إذّاك، أخبرَهُ روشفور أنَّ المَلِكَة قد الْتقتِ الدّوقَ وأعطَتْهُ قِلادة الماس.
«إذًا لَمْ يذهَبْ كلُّ شيءٍ هَباءً مَنْثورًا»، قال الكاردينال مُبتَسِمًا، «مع أنّني اسْتأْتُ كثيرًا من فِرارِ السيّدةِ بوناسيو». لزِمَ روشفورالصَّمْت.
فتابَعَ الكاردينال: «ميلادي موجودَةٌ في لندن. وهي غالِبًا ما تقصِدُ البَلاط. وبالتّالي، يمكِنُها سَرِقَة ماسَتَيْن عندما يَقومُ الدّوق بِلُبْسِ القِلادَةِ». ثم كَتَبَ رِسالةً، وأعْطاها إلى روشفور، وقال «أرسِلْ هذه إلى لندن». بعدَ رحيلِ روشفور، أُعيدَ بوناسيو إلى الدّاخل.
«يا صَديقي، لقد اعْتُقِلْتَ ظُلْمًا. أنت بريء»، أشارَ الكاردينال.
«إنّ الكاردينال يُصَدّقُني!»، صاحَ بوناسيو مُتَهَلِّلاً.

«نعم»، أجابَ الكاردينال. «من فضلِكَ، خُذْ حَفْنَةَ الدَّنانير هذهِ واعْذُرني». عَذَرَهُ بوناسيو فوراً. بالكادِ صَدَّقَ بوناسيو حظَّهُ الرّائع، لكنَّ الكاردينال ابتَسَمَ في سِرِّه، لِثِقَتِه بأن بوناسيو قد باتَ الآن جاسوسًا له.

سَرعانَ ما أبلغَ الكاردينال المَلِكَ لويس الثّالث عشر أنَّ دوقَ باكينغهام قد حَضَر إلى باريس، مما جعلَ المَلِكُ يشتَبِهُ في أنّه أتَى لِلقاءِ المَلِكَة. بيدَ أنَّ الكاردينال أقنَعَهُ بأنّ هَدَفَ زيارَةِ الدّوق كان سياسيًّا مَحْضاً. ثم اقترَحَ عليهِ أن يُقيمَ حفلَةً راقِصَةً على شَرَفِ المَلِكة. فأَطْلَعَها عليها.

وبعد بِضْعَةِ أيام، تَلَقّى الكاردينالُ رسالَةً من ميلادي تخبُرُه فيها أنّها سَرَقتِ الماسَتَيْن وأنّها بحاجَةٍ إلى المالِ لتعودَ أدراجَها إلى فرنسا. إذّاك، طلبَ الكاردينالُ من المَلِك أن يُقيمَ الحَفْلَ بعد عَشَرَةِ أيام. «أطْلُبْ من صاحِبَةِ الجَلالَة أن تَرْتَديَ القِلادَةَ ذات الماساتِ الاثْنَتَي عَشْرة». ولكن عندما طلبَ المَلِكُ من المَلِكَة التزيُّنَ بالماسات، اكْفَهرَّ وَجْهُها وشَحَبَتْ ملامِحُها.

عودَةُ بوناسيو

أدرَكَتِ المَلِكَة أنَّ الكاردينال كان يعرِفُ أنّ القِلادَةَ ليسَتْ بحَوْزَتِها، وأنّ الحَفْلَةَ كانت وسيلةً لتَلْطيخ شَرَفِها ووَصْمِها بالعار. فهبّتِ السيدةُ بوناسيو لِنجْدَةِ المَلِكة، وقالت:

«يا صاحِبَةَ الجَلالة، اكْتُبي رسالَةً إلى الدّوق، وسوفَ أجِدُ لكِ رسولاً يحمِلُها إليه». كانت المَلِكةُ مؤْمِنَةً بولاءِ كونستانس لها، فكَتَبتِ الرّسالَةَ وأعْطَتْها إياها.

بعد مرورِ بِضْعِ دقائق، وصَلَتْ كونستانس إلى منْزِلها. كانَتْ قد قررتْ أن تَبْعَثَ زوجَها في تلكَ المُهِمَّة، ولكنّها لم تَكُنْ تعلَمُ بعد أنَّه كان قد الْتقى الكاردينال.

«عليكَ الذَّهاب فورًا إلى لُندن لإيصالِ هذه الرّسالة. قد تَجْني الكثيرَ من المالِ لقاء ذلك»، قالَتْ كونستانس لزَوْجِها الذي ما كان يرعوي عن القيامِ بأيِّ عملٍ مقابِلَ حَفْنَةٍ من المال.

لكنّه قال: «أنا لن أعملَ في الخفاء. إن كانتْ هذه مؤامَرَة أُخْرى، فأنا لن أقومَ بها، لأنّ غِبْطته قد حذّرني من ذلك.»

«هل التقيتَ بالكاردينال؟» صاحَتْ به السيدة بوناسيو.

فأومأ لها بالإيجاب مُعْتدًّا بنفْسه.

إذّاك، أدْرَكت كونستانس على الفور أنّ زوجَها قد أضْحى جاسوسًا للكاردينال وأنّها كانَتْ على وَشْكِ خيانَةِ الملِكَة وإفشاءِ سرِّها.

كما أدرك بوناسيو أيضًا أنّه قد أضاعَ فرصَةً كبيرةً لكشْفِ النّقابِ عن أسْرارِ الملِكة.

ومع ذلك، قرّرَ السيد بوناسيو مقابلة روشفور لإحاطَتِه علْمًا بالأمْر.

وما كادَ بوناسيو يمْضي إليه، حتى حَضر دارتانيان وقال : «عزيزتي كونستانس، سوف أقصِدُ لندن لإيصالِ رِسالةِ الملِكة».

«كنتُ أعرِفُ أنه يُمكِنُني الوثوقُ بك يا دارتانيان»، قالتْ كونستانس، وهي تسلِّمُهُ الرِّسالَة.

توجَّهَ دارتانيان مباشَرَةً إلى مكْتبِ السيّد دي تريفيل. لقد قُدِّمَتْ له فرصَةٌ على طَبَقٍ من فِضَّة تُخوّلُه كَسْبَ المَجْد والفَوْزَ أيضًا بقَلْبِ المرأةِ التي أَسَرَتْه.

طلبَ دارتانيان من السيّد دي تريفيل إذْنًا لإنجازِ مسألَةٍ مُهِمَّة لا يُمْكِنُهُ الإفْصاحَ عنها.

«خُذْ أصْدِقاءَك معك»، قال دي تريفيل.

كان الفرسانُ الثلاثَةُ سعيدين بمُرافقَتِه.

الرِّحْلَة

لكنْ ما كادَ الفُرسانُ ينطلقون حتى نَزلَتْ بِهِم المصائِب. وما لبِثَ أن حوصِر بورتوس في نُزُلٍ حيث خاضَ عِراكًا مع سِكّير. وفي وقتٍ لاحِق، أصيبَ أراميس في كَمينٍ نُصِبَ لهُ وتُرِكَ في إحْدى المزارِع.

أما آتوس، فأوقِعَ بهِ في نُزُلٍ آخَر. وحدَه دارتانيان تمكَّنَ منَ الوصولِ إلى الميناء حيثُ رأى روشفور يَعْرِضُ بِطاقَةَ مرورِه على قُبْطانِ السَّفينة.

«سوفَ نُبْحِرُ في غُضون ساعَةٍ واحِدَة، يا سيّدي»، قال القُبْطان. فأومَأ له روشفور وارتدَّ على عَقِبَيْه.

«أَعْطني بِطاقَةَ مُرورِك»، صاحَ دارتانيان وهو يَسْتلُّ سَيْفَه. «أنتَ مرَّةً أُخرى!» قالَ روشفور، وهو يَشْهَرُ سيفَه. ثمّ بدأَتِ المُبارَزَةُ بينَهُما.

في غضونِ دقائِق، كانَ دارتانيان قد أصابَ روشفور ثلاثَ مرّات. ثم سَحَب دارتانيان بِطاقَتَهُ بسُرْعَةِ البرق، وسَرعانَ ما انْطَلَق في طريقِه إلى إنكلترا.

عندما بلَغَ دارتانيان قَصْرَ الدّوق، هُرِعَ هذا الأخير لمقابَلَتِه مَذْعورًا.

«هل أصابَ المَلِكَة مَكْروه؟»

صاحَ دوق باكينغهام.

إذّاك، أعطاهُ دارتانيان رسالةَ الملِكة. شحُبَ وَجْهُ الدّوق بعد قراءَتِها، وقال: «اتْبعْني، يا بُنيّ».
ثمّ أخبَر دارتانيان الدّوقَ كلّ ما كان يحْدُثُ في باريس. وقد سُرَّ الدّوق بأنّ الكاردينال لم يتمكّنْ من اعتقال دارتانيان. عنْدَما دلفا إلى غُرْفَةِ الدّوق، ذهَبَ لأخْذِ قِلادَةِ الماس. عند رُؤْيَتِها، لَهَثَ الدّوق وصَرخَ قائلاً: «ماستَانِ من الماسات مَفْقودَتان! لقد سُرِقتا!»
«هل يمْكِنُك التّفكيرُ في أحَدٍ قد يكونُ السّارق؟» سألهُ دارتانيان.
«إنَّ المرَّة الوحيدة التي ارْتدَيْتها فيها كانتْ في الحَفْلَةِ الرّاقصة»، قال الدّوق. «لقد قَضَيْتُ معظَمَ الوَقْتِ مع الكونْتيسة دي وينتر. لا بُدَّ أنّها السّارِقة. إنّها جاسُوسَةُ الكاردينال.»
على الفورِ، أرسلَ الدّوق خلفَ الجَواهري وأمَرَهُ قائلاً: «سوفَ أُعْطيكَ ثلاثَةَ آلافِ دينارٍ ذَهَبيّ عن كلّ ماسَةٍ إن تمكَّنْت من تسليمي ماسَتَيْنِ كَهَذِه في الغَد». وهكذا، استلَمَ الدّوق الماسَتَيْن في صباحِ اليوم التّالي.
«خُذْهُما يا دارتانيان»، قال الدّوق. ثمّ خَفَّ دارتانيان إلى الميناء.

الحَفْلَةُ الرّاقِصَة

كانَتِ الحَفْلَةُ التي كان سَيُقيمُها المَلِكُ على كلِّ شَفَةٍ ولِسان في باريس. وبعدَ أن حَضَرَ الضُّيوف، علَتْ صَيْحاتُ التَّعَجُّبِ مَع وُصولِ المَلِك وبعدَ وُصولِ المَلِكَة. على الفَوْر، لاحَظَ الكاردينال أنَّ المَلِكَةَ لم تَكُنْ تَرْتَدي قِلادَةَ الماس وهَمَسَ شيئًا في أُذُنِ المَلِك.
إذّاك، سَألها المَلِكُ وهو يُلْقي التحيَّةَ عليها: «سيّدتي، هل نَسيتِ أن تَرْتدي قِلادَة الماس؟»
فقالَتْ المَلِكَة ، «مولاي، خَشيتُ أن أفْقِدَها. ولكن إن كُنْتَ يا صاحِبَ الجلالَة تُريدني أن أضَعَها، فسوفَ أفْعَل».
إذاك، عادَتْ أدراجَها إلى غُرْفَتِها. وفي غضونِ ذلك، قدَّمَ الكاردينالُ صُندوقًا صَغيرًا إلى المَلِك في داخِلِه ماسَتَيْن اثنتين.
«سَلِ المَلِكَة من الذي سَرَق هاتين الماسَتَين من قِلادَتِها»، قال له الكاردينال.

غَلَتْ صَيْحاتُ الدَّهْشَةِ في القاعَةِ عندما دَخَلَتِ المَلِكَةُ القاعَةَ من جَديدٍ وحَوْلَ عُنُقِها قِلادةٌ تَتَلألأُ بالماس. فامْتَلأَ قَلْبُ الملكِ غِبْطَةً والكاردينال حُزْنًا.

«شُكْرًا لكِ يا سيدتي، ولكنّني أعتقِدُ بأنّك فقدْتِ اثْنَتيْنِ مِنَ الماساتِ»، قالَ الملِكُ وهو مُمْسِكٌ بالصُّندوقِ أمامها.

«ماستان أُخْرَيان لي، يا مولاي!» صاحَتِ المَلِكَة، مُتفاجِئَة. «سيكونُ لديَّ الآن أربَعَ عَشْرَةَ ماسَة». كانَتِ المَلِكَةُ تضعُ الماساتِ الاثنتي عَشْرَة. إذاك، رَمقَ الملكُ الكاردينالَ الذي اسْتَوْلَى عليهِ شُعورٌ بالحرج، فقالَ إنه كانَ يريدُ أن يقدِّم هاتَيْنِ الماستَيْنِ إلى صاحِبَةِ الجَلالَة.

«شُكْرًا لكَ، يا صاحِبَ النّيافة»، قالَتِ المَلِكَةُ، وهي تبْتسم.

كيفَ حَصَلَتِ المَلِكَةُ على المُجوْهرات؟ حَسَنًا، كان دارتانيان قد أتى بِسُرْعَةِ البَرْق إلى باريس على ظَهْرِ حِصانِه بعدَ أن بلَغَ فرنسا. وبعدَ أنِ اسْتَفْسَر عن عَودةِ أصْدقائِه السّالِمة، تابَعَ طريقَهُ إلى قَصْرِ اللّوفر. وسَرعانَ ما أعْطَى القِلادَة لكونستانس. فوهَبَتْهُ المَلِكَةُ نَفْسُها خاتَمًا ثَمينًا كعُربونِ امْتِنان. لكنَّ أعْظَمَ مكافأةٍ له كان وَعْدُ كونستانس بِلقائِه بعد الحَفْل. بيدَ أنّها أخلَّتْ بوعْدِها.

زوجَةُ آتوس

في اليومِ التّالي، قال دارتانيان لآتوس «إنها تُحِبُّني ومَعَ ذلك لم تأْتِ!»

«الحُبّ»! قالَ آتوس باشْمِئْزاز. «دَعْني أُخبِرُك قِصَّةً عما فَعَلَهُ الحُبُّ بشَخْصٍ أعْرِفُه. لقد وقَعَ صديقٌ لي هو كونت، في حُبِّ فتاةٍ في مُنْتَهى الجَمال. وكانَ جُلُّ ما يَعْرِفُهُ عَنْها أنَّ لَديها شَقيقاً. وما لَبِثا أن تزوَّجا».

«وفي يومٍ من الأيام، ذَهَبَ صَديقي وزوجَتُه لِركوبِ الخَيْل، حيثُ كُشِفَ النِّقابُ عن سِرٍّ رَهيب»، تابَعَ آتوس، «إذْ سَقَطَتْ زَوْجَتُه فجأةً عن ظَهْرِ حِصانِها، وانْزَلقَ فُسْتانُها عن كتِفِها الأيْسر فتجلَّتْ لَهُ علامةُ زَهْرةِ الزَّنْبَق، وهو وَشْمٌ يوصمُ بِه كلُّ شَخْص يَسْرِقُ الكُنوزَ المُقَدَّسَةَ مِنَ الكَنيسَة.

«وماذا فَعل؟» سأَلَه دارتانيان.

«إنَّ القانونَ يُعاقِبُ مُرْتَكبي جريمَةٍ كهذِه بالإعْدام. لذلك، عَلَّقَ مِشْنَقتَها على إحْدى الأشْجار!» قال آتوس. «ثمّ بحَثْتُ عن شَقيقِها، لكنَّه كان قَدْ ولّى الأدْبار»، تابَعَ المِسكينُ مُتَحدِّثًا بصيغَةِ الأنا سَهْوًا.

ثمَّ عَلِمَ دارتانيان أنه قَدْ تَمَّ اختِطافُ السيّدة بوناسيو مرَّةً أخرى، وبأنَّ الهجومَ على لا روشيل قد بَدأ.

في الصّباح، كان دارتانيان يَهُمُّ بالخُروجِ عندَما رأى امرأةً تُجَرُّ بالقوَّةِ خارِجَ إحْدى العَرَبات. فتعرَّفَ إليها على الفَوْر، كانت ميلادي.

على الفوْر، هبَّ لنجْدتِها. وعِندمَا أبصَرَهُ المُهاجِمُ، لاذَ بالفِرار.

«شُكرًا لك يا سيّدي،» قالتْ له ميلادي، «لقد أنقذْتَ حَياتي. كيف يُمْكِنُني مُكافأتُك؟»

«أنتِ الآن في أمانٍ»، أجابَها دارتانيان «وتلكَ هي مُكافأتي». ولكنَّ ميلادي أصرَّتْ على أن يأتي دارتانيان لزيارتِها مساءَ الغد في مَنْزِلها، فلم يكْسِفْ لها طَلَبها. وبعد وَقْتٍ قصيرٍ من الزيارةِ الأولى، واظَبَ دارتانيان على مقابلةِ ميلادي كلَّ يوم، بعدَ أن بدأتْ شكوكُهُ حولها تتلاشى.

ذاتَ يوم، حَضَرَ لرؤيةِ ميلادي، ولكنّها لم تكن موجودَة في المنْزِل. لكن خادِمَتها كيتي دَعتْه إلى الدّاخِل وقالت له: «سيّدي، لديَّ شيءٌ مهمٌّ أقولُهُ لك».

«ما الأمْرُ يا كيتي؟»

«سيدي، إنَّ سيدَتي تستخدِمُكَ لأغْراضٍ شخصيَّة»، أجابَتْهُ كيتي.

اعْتَرتْ دارتانيان صَدْمَةٌ كبيرة. وفجأةً عادَت ميلادي إلى البيت، فصاحت كيتي: «ارحَلْ يا سيدي»، وهي تخْرُجُ مُسْرِعة.

ولكن دارتانيان آثرَ الاخْتِباءَ في الخِزانة.

«حسنًا، كيتي»، قالَتْ ميلادي، «ألم يأتِ دارتانيان اليوم؟»

«لا، لمْ يفعل»، كذبَتْ كيتي. ومن خلالِ حَديثها، أيقنَ دارتانيان في غُضونِ الدقائِقِ القليلةِ التاليةِ، أنَّ ميلادي كانَتْ تُخَطِّطُ للانتِقامِ منْه، وأنها هي من كانَ وراءَ اختِطافِ كونستانس.

فاندَفع كالصَّقْرِ نحو ميلادي وسألَها: «أَين أَخْفَيْتِ كونستانس؟»

ولكن على الرُّغْمِ من أنها أُخِذَتْ على حينِ غِرَّة، سَحَبَتْ سِكّينًا من ملابِسِها ووثَبَتْ عليه. بيدَ أنها لم تنَلْ من دارتانيان مَضْرَبًا، وسَرعانَ ما قَبَضَ الأخيرُ على خِناقِها.

«لن أُخبِرَك قط»، قالت ميلادي ثمّ هَبَّتْ لتطْعَنَ دارتانيان بالسّكّين. لكنَّهُ اعْتَرَضَ سَبيلها. وإذا بِخاتَمٍ ينزَلِقُ من إصْبَعِها في يدِ دارتانيان وبفُستانِها يَنْحَدِرُ عن كَتِفِها الأَيْسَر.

أُصيبَ دارتانيان بالدَّهْشَة عندما رأى وَشْمَ زهرةِ الزَّنْبق مَدْبوغًا على كَتِفِها.

«سوفَ أَقْتُلك،» صاحَتْ ميلادي، ثمّ انْدَفَعَتْ كالرّيحِ نحوَ دارتانيان، لكنَّهُ فرَّ خارِجَ المَنْزِل، وظلَّ يركُضُ إلى أن بَلَغَ منزِلَ آتوس.

«ما الّذي حَدَث؟» سأله آتوس، قلِقًا. «ما هذا الذي في يدِك؟»

إذّاك، أدرَكَ دارتانيان أنه كان لا يزالُ يُمْسِكُ خاتَمَ ميلادي. عندَما رآه آتوس، اكْفَهرّ وَجْهُه.

«هل عرَفْتَ هذا الخاتَم؟» سألَهُ دارتانيان. «إنها جوهَرَةٌ من إرثِ عائِلَتي كنْتُ قدَّمْتُها إلى زَوْجَتي ... ولكن كيف ...»، قال آتوس وقد ضاق صَدْرُه.

بإيجاز، سَرَدَ له دارتانيان مغامَرَته.

«هل يُعقل أنه لها؟» سأل آتوس.

«أوَلَيْسَتْ مَيْتة؟»

إذّاك، تبلْور كلّ شيءٍ لدارتانيان. فرَنا الى آتوس في ذُهول. ثمّ أردَفَ آتوس قائلاً:
«نعم، إنّ تلك المرأة وميلادي هما نفسُ الشَّخْص. إنها... زوجَتي. دارتانيان، لقد أصْبَحَتْ تعرِفُ سرَّها الآن. سوف لن يقِرَّ لها قرَار قبل أن تقتُلَك. عليك أن تَرْحَل عن فرنسا».
«رِفاقي سَوفَ يغادرون إلى لا روشيل بعدَ غَد»، قال دارتانيان. «كُنْ حذِرًا»، قالَ آتوس.
ولكن في اليوم التالي، استُدْعي دارتانيان من قِبَل الكاردينال. فقصدَهُ مَعَ الفُرسان. ثمّ اقتيدَ دارتانيان إلى مَكْتبِ الكاردينال حيثُ عَلِمَ سريعًا بأن الأخيرَ كان يَعْرِفُ كلّ شيءٍ عنه.
«أنت شُجاعٌ إنما حَذِرٌ يا سيّد دارتانيان»، قال الكاردينال. ثمّ استطردَ قائلاً: «لكنكَ شابٌ في مُقْتَبَلِ العُمُر ولديكَ أعداءٌ أشدّاء يُمْكِنُهُم القضاءُ عليكَ في طَرْفَةِ عَيْنٍ إنْ لم تتَوخَّ الحَذر.»
«سيدي!» أجاب دارتانيان.
«لديك الكثيرُ من الإمكانات. وإنّ كلَّ ما تحتاجُهُ هو التوجيهُ الصَّحيح. ما رأيُكَ في الانضِمام إلى فوْجِ حَرَسي الخاص؟»
لكنَّ دارتانيان رَفَضَ العَرْضَ، ولم يَتزَحْزَحْ قيد شَعْرةٍ عن قرارِهِ حتّى عندَما هَدَّدَهُ الكاردينال قائلاً له إنه يملكُ دليلاً على تعامُلِهِ ضِدَّ فرنسا. انْتَهى الاجتِماعُ في جوّ من التوتُّر. وفي صباحِ اليوم التّالي، غادرَ دارتانيان إلى لا روشيل.

لا روشيل

كان حِصارُ لا روشيل واحِدًا من أكبرِ المشاريعِ العَسْكريَّةِ للكاردينال. في السّابق، كان الفرنسيون الكاثوليك والبروتستانت، الذين كانوا يُدْعَوْنَ بالهوغونو، يعيشونَ في سَلامٍ وأُلْفَة. ومع ذلك، أراد الكاردينال ريشيليو تَوْحيدَ كلّ فرنسا تَحْتَ رايةِ حُكْمِ الكاثوليكيَّة.
كان قد مَضى على الحِصارِ بِضْعَةُ أشْهُر. إبّانَ الحَرْب، كانَتِ الفِكْرَةُ الوحيدَةُ التي تُفْرِحُ قلبَ دارتانيان وتُخَفِّفُ عنْهُ هي العُثور على كونستانس مُخْتَبِئَةً داخِلَ الدّيْرِ في مَنْأىً عن الخَطَر. وقد قاتَلَ ببسالَةٍ لا تَشُوبُها شائِبَة في ساحَةِ المَعارك، لكنّه كان يفتقِدُ أصْدقاءَه. وذاتَ يوم، جلبَ له رسولٌ زجاجَةَ نبيذٍ قال إنها هديةٌ بعثها له الفُرْسان.
ابتهَجَ قلبُ دارتانيان وصاح: «إنّهم لم يَنْسوني». ثمّ دعا نَفَرًا من الأصدقاءِ لشربِ النَّبيذِ معه. ولكن قبلَ أن يتمكّنوا من رَشْفِ رَشْفَة منها، عَلَتْ ضَجَّةٌ كبيرةٌ احْتفاءً بوصولِ المَلِك وفرسانه.
الْتَقى دارتانيان أصدقاءَهُ وشَكرهُم على النبيذ الذي أرْسلوه. لكنَّ الفُرسان أجابوا في دَهْشَة: «لكننا لم نُرْسِلْ لكَ أيَّ نبيذ!». تَعجّبَ دارتانيان واكْفَهَرّ وجْهُه، فقال آتوس: «إنّني أرتابُ في الأمر».
إذاك، هُرِعا على الفَوْر لتفقُّد النبيذ. ولكن عندما وَصَلا، وجدا أن أحَدَ الرِّفاقِ كان قد جَرَعَ من النَّبيذ وما لَبِثَ أن فارَقَ الحَياة. هذا الأمرُ زرعَ الرُّعْبَ في قلبِ دارتانيان. «كان النَّبيذُ مَسْمومًا. إنّ من بعثَهُ لكَ يُريدُ مَوتَكَ!» قال آتوس.
وعلى الفَوْر، أدْرَكَ كلٌّ من آتوس ودارتانيان أن ميلادي كانت ... بعَثَ بالنَّبيذ ... لدارتانيان.

منافعُ المَداخنِ المَعْدنيَّة

ذات ليلة، قفلَ الفُرسانُ الثلاثةُ عائدين الى مُعَسْكرِهم. وفجأة، ظهرتْ أمامهُم مجموعةٌ من الفُرسانِ تتوجَّهُ نحْوهم، فتوقَّفوا مكانَهُم. «منْ هناك؟» سأل آتوس.

«لا بلْ أنتُم من تكونون؟» ردَّ أحدُ الفُرسانِ في لَهْجةٍ آمرة.

«يبدو أن أحد الضُّباط يقومُ بإحْدى دوريّاته» قال آتوس في نفسه. فأجابَ:

«نحنُ فُرسانُ الملك.»

عند سَماعِ الغُرباءِ هذا، نَزَعوا على الفَوْرِ معاطِفَهُم.

فذُهِلَ الفُرسانُ وصاحوا في صَوْتٍ واحِد: «الكاردينال!»

«آه! الفُرسانُ الثّلاثة الشَّهيرون!» هَدَرَ صاحِبُ الغِبْطَة. «نحنُ لسْنا على علاقةٍ طَيِّبة. ولكن ما رأيكم لو تأْتونَ معي؟»

إذّاك، انْحَنى الفُرسانُ الثّلاثةُ لصاحِبِ الغِبْطة، ورافقوا الكاردينال إلى النُزُل القريب.

هناكَ، تركَ الكاردينال الفُرسان ينتظرونَهُ في الطّابق السُّفْلي، وانْصَرَفَ للقاءِ أحدِهِم في الطّابق العُلْويّ.

وبينما كان بورتوس وأراميس يُلْهيان نفْسَيْهما، وقف آتوس بالقُرْبِ من المداخِنِ المعْدنيَّة التي كانت تَمْتدّ إلى الغُرَفِ في الطّوابق العُلْويَّة، وإذا بصَوْتِ الكاردينال يصِلُ إلى مسامِعِه.

إذّاك، انضمَّ إليه كلٌّ من بورتوس وأراميس.

«ميلادي، أصغي إليّ جيدًا»، قالَ الكاردينال. «غادري هذه اللَّيْلة إلى إنكلترا والْتَقي باكينغهام.»

«ولكن، يا صاحِب النيّافة، إن الدّوق يشتبهُ بي الآن»، أجابت ميلادي.

«حسنًا، سوف تذْهبين بصِفتِكِ مفاوِضةً باسْمي، وليسَ من أجْلِ كسْبِ ثِقتِه»، شَدَّد الكاردينال.

«قولي له أن لا يَأْتيَ إلى لا روشيل، ما لم يُرِدْ أن يَفْتَضِحَ أمْرُ الملِكة».

«لكن ماذا لو أصرَّ على تنْفيذِ خُططِه؟» سألتْهُ ميلادي.

«عندئذٍ، قومي بإردائِه» أجابَها بشَكْلٍ قاطِع.

فقالتْ ميلادي، «يا صاحِب النّيافة، سوفَ أطلُبُ مِنْك أن تُصْدِرَ أمرًا رسْميًّا يُصَدِّقُ مُسْبقًا على كلِّ ما سوفَ أقومُ به.»

إذّاك، صاغ لها الكاردينالُ الأمْر على الفوْر.

ثمّ أضافتْ ميلادي: «لكنَّ أعْدائي لا يزالونَ أحْرارًا، وقد لاذتْ كونستانس بوناسيو بالفِرار».

«لا تقلقي، سوفَ أعثُرُ عليها»، طمْأنَها الكاردينال، ثم أضاف: «ويُمْكِنُني إرسالُ دارتانيان إلى الباسْتيل».

«مبادلة مُنْصِفة يا سيّدي»، علّقتْ ميلادي قائلة.

في هذه الأثْناء، هَمس آتوس شيئًا في آذانِ أصْدِقائِه وغادر النُزُل.

شِجارٌ زَوْجيّ

عندما استَفْسَرَ الكاردينالُ عن آتوس، تمكَّنَ الفُرسانُ من إقْناعِهِ بأنّ الأخيرَ قدِ انْصَرَفَ ليسْتَطْلِعَ الطَّريق، وعادا مَعَه.

في تلكَ الأَثْناء، كان آتوس ينتظِرُ الكاردينال ورفيقَيْهِ خَلْفَ أحدِ الأَسْيِجَة. بعد أن عَبَرَ الوفْدُ الصَّغيرُ البُقْعَةَ واجْتازَ السّياج، انْكَفَأَ آتوس عائِدًا إلى النُّزُل. ولمّا وَصَلَ إلى هناك، أخبر المُضيف أنّه يملِكُ بعضَ المَعْلوماتِ الهامّة التي كان عليهِ أن يُسلِّمها للسَّيدة. وهكذا مَضى للقاءِ ميلادي.

عندما أغلقَ آتوسُ الباب، اسْتدارَتْ ميلادي. كانتْ قُبَّعَتُهُ تُخْفي ملامِحَ وَجْهِه، فصاحَتْ ميلادي: «من أنت؟»

إذّاك، رَفَعَ آتوس قُبَّعَتَهُ وتقدَّم نحو ميلادي. لما رأتْهُ انْقبضَتْ أساريرُها ذُعْرًا، ولَهَثَتْ قائِلَةً: «الكونت دي لا فير!».

«كنتُ مُخْطِئًا عندما ظَنَنْتُ أنّك مُتِّ»، قال آتوس. «لقد عُدْتِ تحتَ اسمٍ مُخْتلفٍ ولكنّكِ لم تَسْتطيعي إخفاءَ وَشْمَك. أنا أعرِفُ كلَّ ما تَنْوينَ فِعْلَه».

«ماذا تريد؟» سألتهُ ميلادي بصَوْتٍ خافِت.

«لا آبَهُ إن قَتلْتِ دوقَ باكينغهام. ولكنْ إنِ مسسْتِ شَعْرَةً واحِدَةً من رأسِ دارتانيان، سوفَ أَقْتُلُك. وسوفَ أحْرِصُ أن لا تُبْصري النورَ مرَّةً أُخْرى»، قال آتوس بِبُرودَة .

ثم سلَّطَ مسدّسَهُ على جَبينِها، وقال «أَعْطني الأمرَ الذي مَنَحكِ إياهُ الكاردينال».

فمدّتْ يداها المرتَجِفتان وأعطته إياه.

أخذَهُ آتوس وقرأه، وقد جاء نَصُّهُ كالتالي: «بناءً لِطلَبي ولصالِحِ الدولَةِ قامَ حامِلُ هذا الأَمْرِ بما قامَ به. ريشيليو».

إذّاك، غادَرَ آتوس النُّزُل مع الأمر والتحَق بأصدِقائِه. ثمّ قرّرَ الفُرسانُ تَحْذير المَلِكَة حولَ دوافِع الكاردينال من دونِ إضاعَةِ الوقْت.

فكتبَ أراميس رسالَةً وأرْسَلَها إلى المَلِكَة مع بلانشيت.

وفي تلك الأثناء، خاضَ دارتانيان والفرسانُ الثَّلاثَة معركَةً شَرِسَةً ضدَّ الهوغونو، سجَّلَ فيها دارتانيان مواقِفَ تَنُمُّ عن شَجاعَةٍ كَبيرة، فأصَرَّ الكاردينالُ على أن يُمْنَحَ رُتْبَةَ فارِس. كان دارتانيان مُفْعمًا بالسَّعادَة.

الأَسْر

نجح بلانشيت بتَسْليم رِسالَةِ الفُرسان إلى الملِكة التي أرْسَلَتْهُ على الفَوْرِ إلى لُندن مع رسالةٍ إلى الدّوق. في هذه الأثْناء، كانتْ ميلادي قد وَصَلتْ إلى لُندن وذهبَتْ مباشَرَةً لِلقاءِ الدّوق.

«آه! جاسوسَةُ الكاردينال قد عادَتْ!» قال الدّوق.

تجاهَلتْ ميلادي الإهانة، وقالت: «إنّني أُحذِّرُك، بصفَتي رسولَة الكاردينال ريشيليو، ألاّ تذْهَبَ إلى لا روشيل، وإلا افتضحَ أمْرُ المَلِكة».

«قولي لصاحِبِ النّيافَة إنَّ تَهْديداته لن تُجْدي نفعًا»، أجابَها الدّوق.

«إذًا أنتَ لا تتركُ لي أيّ خيار آخر»، قالت ميلادي وهي تشْهَرُ مُسدَّسًا صغيرًا.

ولكن سرعانَ ما أخَذَها حرّاسُ أرْبَعَةٌ على حينِ غِرَّة، فأطْبقوا عَليْها وانْتزعوا المُسدّس من يدِها. «احْتجِزْها أيُّها الضابط، هيّا!» قال الدّوق مُتوجِّهًا بكلامِهِ إلى المُلازم فيلتون.

إذّاك، انْحنى له الضّابطْ فيلتون الذي كانَ في شرْخِ الشبَّاب.

«جون سوفَ أضَعُ هذه المرأة الجميلة نصْب عينيك. حذارِ مِنْها، إنّها وَحْشٌ في ثَوْبِ امْرأة. لقد حاوَلَتْ قتْلي، وقد تُحاوِلُ النَّيْلَ منْكَ أيضًا» تابعَ قائلاً.

لكن على الرُّغْم من هذا التَّحْذير، لم يَخْطُرْ لجون فيلتون مدى خُطُورَةِ ميلادي! في حين أيْقنتِ الأخيرةُ أنَّ الضابط الشّاب هو وسيلَتُها للهُروب.

داخِلَ السّجن، انْكبَّتْ ميلادي على الصّلاةِ ليلاً ونهارًا، وغالبًا ما كانَتْ تَجْهَشُ بالبُكاءِ عندَما تسْمَعُ خُطواتِ فيلتون في الجِوار. فَخالَها هذا الأخيرُ امرأةً ديِّنَة، وسَرعانَ ما بدأ يَتعاطَفُ مَعَها.

وفي مرحلَةٍ لاحِقة، أضْرَبَتْ عن تَناوُلِ الطَّعام حتّى إنَّها تَوسَّلت إلى فيلتون أن يَضَعَ حدًّا لحياتِها. وفي نهايَةِ المَطاف، نَجَحَ أسلوبُها في التّغلُّبِ على قَلْبِ فيلتون الذي ما لَبِثَ أن انْفطرَ أمامَ مَدى مُعاناتها، فعَقَدَ العَزْمَ على مُساعَدَتِها. وبالتّالي لم يبْقَ أمامَ ميلادي سوى فرصَةِ إقْناعِهِ بأنَّها كانَتْ ضَحيَّةَ ظُلْمٍ كافِر. وسَرعانَ ما ابْتسَمَ لها الحظُّ.

فارْتَمَتْ ميلادي عند قَدَمَيْه، وشَهَقَتْ قائِلَة: «أتوسَّلُ إليك أن تَقْتُلَني. دَعْني أتخلَّصُ من عَدُوّي وعاري.»

«من هو عدوّك؟» سألَها فيلتون، وقد اعْتَراهُ القلَق.

فرَنَتْ ميلادي إلى فيلتون الذي تأكَّلهُ الأسى، وقالَتْ: «لقد تمّ اخْتطافي عندَما كنتُ لا أزالُ فَتاة في رَيعْانِ الشّباب، وأُبقِيَ عليَّ أسيرةً مدَّةً طويلة. وقد تعرَّضْتُ للتَّدْنيسِ مِرارًا وتَكْرارًا. ثمّ تمكَّنْتُ ذاتَ مرّةٍ من الفِرار، ولكن أُلْقيَ القَبْضُ عليَّ من جَديد، وبعد ذلك، وُصِمْتُ بالعارِ لأنّني قاوَمْتُ أسري.»

ذُهِلَ فيلتون، فسألَها وهو يَتميَّزُ غضبًا: «ومن هو؟».

فأجابَتْ ميلادي وهي تَنْتَحِب: «إنه الرَّجل الذي تَعْمَلُ لَدَيْه».

«أنتِ لا تَقْصُدين...»، استهلّ فيلتون كلامه.

لكنّ ميلادي راحتْ تَجْهَشُ بالبُكاء.

«سوفَ أُساعِدُكِ على الانتِقامِ مِنْه»، قالَ فيلتون.

وهَكذا نَجَحَتْ ميلادي في إخْضاعِه لِمآربِها وَحقَّقَتْ مُرادَها.

الهروبُ والقَتْل

بعد فترةٍ من الوقْت، أطلقَ فيلتون سَراحَ ميلادي واصْطحبَها سِرًّا الى زوْرَق.

«إلى أين نحنُ ذاهبان؟» سألتْهُ.

«إلى إحْدى السُّفُنِ الشّراعيَّة»، أجابَها فيلتون. «سوفَ تُقِلُّكِ إلى فرنسا».

«ألن تَأْتي مَعي؟» سألَتْهُ ميلادي مدَّعِيَةً المُفاجَأة.

«ليس بعد، ولكنّني سوف أوافيكِ هناك في وَقْتٍ قريب»، أجابَها. سُرّتْ ميلادي لأنّها قَرأَتْ على وَجْهِ فيلتون عَزْمَهُ على قَتْلِ الدّوق.

وبينَما كانا في طريقِهما إلى السّفينة الشّراعيَّة، طلبَ فيلتون من ميلادي انتظارَهُ ساعَةً من الوَقْت.

بيدَ أنّ السَّفينة الشّراعيَّة أبْحَرتْ بعد بِضْعَةِ دَقائق، تارِكَةً فيلتون وراءَها.

كان قَلْبُ فيلتون قد امتلأَ كراهيَةً تِجاهَ الدّوق. فقَصَدَ على الفَوْرِ مَكْتَبَ الدّوق حيثُ انْقَضَّ على هذا الأخير كالبَرْقِ وطَعَنَهُ بسكّينِه وهو يقول: «لقدِ انْتَقمْتُ لميلادي». عند سَماعِ صُراخِ الدّوق، سارَعَ الحُرّاسُ إلى الدّاخل. فوجَدوا الدُّوقَ يلفِظُ أنفاسَهُ الأخيرَة، وفيلتون إلى جانِبِه مُلْتَقِطًا سكّينًا مُضَرَّجَةً بالدّم.

أُلْقيَ القَبْضُ على فيلتون. في تلك اللَّحْظة بالذات، وَصَل بلانشيت وشَهَقَ في رُعْبٍ! لقد وَصَلَ بعد فواتِ الأوان بلَحَظات.

جريمَةٌ تلْوَ الأُخْرَى

في تلكَ الأَثْناء، كان الحِصارُ في لا روشيل، جاريًا على قَدَمٍ وساق، عندَما قَرَّرَ المَلِكُ لويس الثّالث عَشَر العودَةَ إلى باريس مَعَ بِضْعَةٍ من فُرْسانِه، من بينهِم الفُرسانُ الثّلاثة، ودارتانيان الذي كان عُيِّنَ حديثًا فارِسًا في المَجْموعة. عندَما بلغوا أَطْرافَ باريس، مُنِحَ الفُرسانُ إجازَةً لمُدَّةِ ستَّةِ أيّام بناءً على أَمْرٍ من المَلِك. وبعد أنِ اكْتَشَفَ بورتوس مكانَ اختِباءِ السيّدة بوناسيو، قَرروا الذَّهابَ إلى بيتون لنَجْدَتِها. ولما كانوا يَشُقّون طريقَهُم إلى بيتون، توقَّفَ الفُرسانُ الأَرْبَعَة في نُزُلٍ حيثُ رَأى دارتانيان روشفور مرةً أخرى. ولكن قبلَ أن يتمكَّنَ من مُبارَزَتِه، أدْبرَ روشفور بعد أن أَوْقَعَ سَهوًا ورَقَةً كُتِبَ عليها «أرمانتيير».

في تلك الأثناء، كانَتْ ميلادي قد وَصَلَتْ إلى فرنسا، وأرسَلَتْ، بعد فترةٍ قصيرَةٍ من وُصولِها، رسالَةً إلى الكاردينال تُبْلِغُه فيها أن دوقَ باكينغهام لن يَأْتيَ إلى فرنسا. ثم توجَّهَتْ نحو بيتون في انتِظار الأوامِر.

ما إن وَصَلَتْ إلى الدَّيْرِ حَتّى عَلِمَتْ أنَّ السيدةَ بوناسيو كانت موجودةً هناك.

كادت ميلادي أن لا تُصدّق حظَّها السَّعيد. فصادَفَتْ كونستانس متذرّعَةً بحُجَجٍ واهِيَة، وسَرعانَ ما علِمتْ بأنَّ الأخيرةَ قد تَلَقَّتْ رسالةً تقولُ بأنَّ دارتانيان ورفاقَهُ هُمْ في طريقِهم لإنْقاذِها.

عند ذلك، ادّعتْ ميلادي أن علاقَةَ صداقةٍ ومَودَّة تربطُها بدارتانيان، وقالتْ: «ما كان دارتانيان يتوقَّفُ عنِ الحديثِ عنْك».

«عليكِ أن تأتي معي»، قالتِ السيّدة بوناسيو، «سوف يحْرِصُ دارتانيان وأصدِقاؤُه على حمايَتِك».

إذّاك، حضَر زائرٌ للقاءِ ميلادي، فانصَرفتْ كونستانس. كان ذلك روشفور! فأخبرتْهُ ميلادي أنَّها قد وجدَتِ السّيدة بوناسيو هنا.

أطْلَعتْ ميلادي روشفور على خُطَّةِ الفُرسان وخُطَطِها الخاصَّة المتعلِّقَة بالسيّدة بوناسيو، ثمّ طَلَبَتْ منهُ إرسالَ عَرَبةٍ لتتمكّن من اصْطِحاب السيّدة بوناسيو مَعَها إلى آرمنتيير. وفور مغادرةِ روشفور، قالتْ ميلادي للسيّدة بوناسيو إن الكاردينال سوفَ يقومُ بإرسالِ حرّاسِه مُتَنَكّرين في زِيّ الفُرسان للقَبْضِ عليها.

ولكن بِطبيعةِ الحال، كانتِ الرسالةُ براءً من الحقيقةِ ولا تمُتُّ لها بِصلة. أما الفُرسان، فكانوا لا يزالون في لا روشيل. ذُعِرَتِ السيّدة بوناسيو وارْتَعَبتْ، فقالَتْ لها ميلادي:

«لقد تَدَبّرتُ عَرَبةً لنقلِنا إلى آرمنتيير. سوف نقومُ بالاخْتِباء هُناك».

كانت ميلادي قد خطَّطتْ لأخْذِ السّيدة بوناسيو إلى آرمنتيير حيثُ تقومُ بِقتْلِها. بعد بُرْهة، سمِعتا صوت عَرَبةٍ تتوقَّفُ قُبالة الدَّيْر، وقَعْقَعَةً بعيدةً لِحوافِرِ الخَيْل.

إذّاك، هبَّتْ ميلادي إلى النّافِذَةِ وصَرَخَتْ مُضْطربة. «هذه هي عَرَبتنا. ولكنّني يا كونستانس، أرى أيضًا حرّاس الكاردينال. علينا الرّحيلَ فوْرًا!»

شحب وجْهُ السيّدة بوناسيو وانْهارتْ على أحدِ الكَراسي. كان الفُرسانُ هم من في الخارج. لكنَّ الرُّعْب قد سمَّرَ كونستانس على الكُرسيّ، فصرخَتْ قائلة: «اذْهبي من دوني».

«تحلّي بشيءٍ من الشَّجاعة،» صاحتْ ميلادي وهي تَسْكُبُ لها بعض النّبيذ. وفيما كانَتْ تقومُ بذلك، فتحتْ خاتمًا كبيرًا في إصْبعِها، وسَكَبَتْ مُحتوياتِه في النّبيذ.

شَرِبَتِ السّيدة بوناسيو النّبيذَ آليًّا. «ليسَتْ هذه هي طريقَةُ الثّأرِ التي كنتُ أَصْبو إليها»، تَمْتَمَت ميلادي، ثم مَضَتْ بِخِفَّةٍ إلى العَرَبة. وبعد دَقيقَةٍ، خَرَّتْ كونستانس صَريعَة.

وصلَ دارتانيان والفُرسان إلى الديّر، ولكنْ كان قد فاتَ الأوان، لأنَّ السيّدةَ بوناسيو كانت قد فارَقَتِ الحَياة. احْتَضَنَ دارتانيان حبيبتهُ بين يديْهِ وكان قلبُهُ الدّامي يَعْتَصِرُ حُزْنًا، ولا يعرفُ عَزاءً. ثمّ سَرعانَ ما فَطِنَ الفُرسان إلى أن ميلادي كانتْ قد وَصَلتْ إلى بيتون، وتعرّفتْ على كونستانس، فقضتْ عَلَيْها.

بعد انْتِهاءِ مراسِم دَفْنِ كونستانس، أوصَلَ آتوس أصدقاءَهُ إلى النُّزُلِ وطَلَبَ منهم أن يَسْتريحوا. لكنَّ دارتانيان اعْتَرَضَ قائلًا، «أريدُ أن أثْأَرَ لكونستانس».

«لا، إنّ الثَّأْرَ هو ثأري»، أجابَهُ آتوس. «إنَّها زَوْجتي!»

رَمَقَ بورتوس وأراميس أَحَدُهما الآخَرَ في ذُهول. فقال لَهُما آتوس: «اسْتريحوا ريثَما أُنهي بعض الأعمالِ الهامَّة».

في وَقْتٍ متأخِّرٍ من اليومِ التّالي، عادَ آتوس برِفْقَةِ رَجُلٍ طويلِ القامَةِ كان يَضَعُ ساعَةً حمراءَ ذات غِطاء.

ومن دونِ أن يُكَلِّفَ آتوس نفسَه عَناءَ تَقديمِ الرَّجُلِ الغَريب إلى أَصْحابِه، انطلَقَ الجميعُ بِهُدوءٍ إلى آرمنتيير.

المُحاكَمَة

بلغَ الفُرسانُ والرجُلُ الغريب آرمنتيير في صَمْتٍ كبير. وفجأةً، جاءَ بلانشيت مُهَروِلاً نَحْوَ آتوس، الذي كان قد أرسَلَهُ إلى هناك لمَعْرِفَةِ مكانِ سَكَنِ ميلادي.

«إنّها بمُفْرَدِها بالقُرْبِ من النَّهر»، قالَ بلانشيت.

«أرشِدْنا إليها»، قال آتوس.

وهكذا، اصْطَحَبَهم بلانشيت إلى النَّهْرِ حيثُ أشارَ إلى مَنْزِلٍ صَغيرٍ مَعْزولٍ يَقَعُ على ضِفافِه.

توجَّهَ آتوس بحَذَرٍ إلى النّافذة سَيْرًا على الأَقْدام، فيما تَسَلَّلَ البقيَّةُ نحوَ الباب.

اخْتَلَسَ آتوس النَّظَر، فأبْصَرَ ميلادي جالِسَةً على كُرسيٍّ إلى جانِبِ موقِدٍ تكادُ نارُهُ تَخْمُدُ. لما رَأَتْه ميلادي، صَرَخَتْ في هَلَعٍ وركَضَتْ نحوَ الباب.

قفزَ آتوس على الفَوْرِ من النّافِذَة. فهُرِعَتْ ميلادي تَفْتَحُ الباب، لكنَّها وَجَدَتْ دارتانيان واقِفًا عندَه.

تراجَعَتِ القَهْقَرى، فقالَ آتوس: «ادخلُوا أيُّها السّادة».

فولَجَ الفُرسانُ البيتَ برفْقَةِ الغَريب.

«ماذا تريدون؟» صاحَتْ ميلادي.

فقال آتوس:»نريدُ شارلوت باكسون، التي عُرِفَتْ أَوَلاً بالكونتيسَّة دي لا فير، ولاحِقًا بميلادي دي وينتر».

«أنا هي!» غَمْغَمَتْ ميلادي وقد اسْتَحْوَذَ عليها الرُّعْب.

«نودُّ محاكَمَتك على جرائِمك»، قال آتوس.

«دارتانيان، تَقَدَّم».

تقدّمَ دارتانيان: وقال: «أنا أتَّهِمُ هَذِهِ المَرْأة بدَسِّ السُّمّ لكونستانس بوناسيو التي ووريَتِ الثَّرى أمْس. وقد حاوَلَتْ قَتْلي أنا أيضًا بإرسالِها لي نَبيذًا مَسْمومًا كذلك. حَفِظَني اللهُ من الشّرّ، ولكنّ رَجُلاً آخَرَ قد لَقِيَ مَصْرَعَه بدلاً منّي.» بعد أنِ انْتَهى، وَقَفَ إلى جانِبِ بورتوس وأراميس.

«إنّه دوري»، قال آتوس. «أنا أتَّهِمُ هَذِهِ المرأة باغْتيال دوق باكينغهام عبرَ إغواءِ سَجّانِها».

«دوق باكينغهام، ميت!» صاحَ الفارِسان معًا. فأومأ لَهُما بلانشيت إيجابًا.

«كنتُ قد تزوَّجْتُ هذه المَرأة، وقدَّمْتُ لها ثَرْوتي واسْمي لأكْتَشِفَ في ما بعد أنها مَوْشومَةٌ بعلامَةِ زَهْرة الزَّنْبَق»، تابع آتوس.

«فلتُثْبِتوا الجريمَةَ التي تتَّهمونني بها»، صَرَخَتْ ميلادي.

«حان دوري»، قال الغَريبُ ثمّ نَزَعَ الغِطاءَ عن رَأْسِه.

لما رأته ميلادي، ارتَعَدت فَرائِصُها، وصَرَخت، «جلاّدُ ليل!»

«نعم، أنا جلاّدُ ليل»، قال الغريب. «كانَتْ هذه المرأةُ راهِبَةً وهي في شَرْخِ الصِّبا. فوقَعَ كاهِنٌ شابٌّ في حُبِّها. وقرّرا الهَرَب معًا. ومن أجلِ الحصولِ على المال، أقْدَما على سَرِقَةِ صَحْنِ الكَنيسَة. فأُلْقِيَ القَبْضُ عليهما. لكنّها تَمَكَّنَتْ مِنَ الهَرَبِ بعد أن أغْوَتِ السَّجّان، في حين حُكِمَ على الكاهِنِ بالسَّجْنِ عَشْرَ سنَوات، ووُصِمَ بالعار. لقد وَصَمْتُ شَقيقي بالعار!»

«ثمّ عَثَرْتُ عليها ووَصَمْتُها هي أيضًا. في تلك الأثناء، كان أخي قد فَرَّ ولَحِقَ بها. فاتُّهِمْتُ بمُساعَدَته، ورُمِيَ بي في السِّجْن. هَرَبا إلى بيرّي حيثُ تمكَّنَتْ من إغْواءِ الكونْت دي لا فير وتزَوَّجَتْ منه.» هزَّ آتوس رأسَهُ موافِقًا. «عاد شَقيقي وقدِ انْفَطَرَ قلبُهُ، فَشَنَقَ نَفْسَه داخِل زَنْزانَتِه. تلكَ هي الجريمَة التي أتَّهِمُها بها أنا.»

«أيّها السّادة دارتانيان وبورتوس وأراميس»، قال آتوس «ما هو العِقابُ الذي تَسْتَحِقُّه؟»

«الموت»! أجابَهُ الفُرسان، في صَوْتٍ مَهيب.

إذّاك، أطْلَقَتْ ميلادي صَرْخَةً مُخيفَة.

«شارلوت باكسون، الكونتيسّة دي لا فير، ميلادي دي وينتر»، قال آتوس، «لقد ثَبَتَتْ عليكِ التُّهم. اطْلُبي من الله المَغْفِرَة».

لكنَّ ميلادي لزِمَتِ الصَّمْتَ ولم تَنْبِسْ بِبنْتِ شَفَة.

اقتادَها الجلاّد إلى الجانِبِ الآخَر من النَّهر في قارِب. وهناك، رَفَع سيفَهُ بُرْهَةً في الهواءِ ثمّ هَوى به بِسُرْعَةِ البَرْق على رأسِ ميلادي، وأعْدَمَت.

ربطَ الجلاّدُ الرأسَ والجِسْمَ بثوبِه، ورَمَى بالجُثَّةِ في النّهر قائلاً: «فَلْتَحُلَّ عدالَةُ السمّاء!»

الخاتمة

بعد ثلاثَةِ أيامٍ، بلغَ الفُرسانُ الأربَعَةُ وَسَط باريس.

وكان قد انتَشَر في تلكَ الأثناء، نبأُ مَقْتلِ دُوق باكينغهام كبُقْعَةِ زَيْتٍ في كافَّةِ أنْحاءِ المَعْمُورَة. فانْقَبَضَ قلبُ المَلِكَة حُزْنًا عليه، في حين كان قَلْبُ المَلِك لويس الثّالث عَشَر يقفِزُ فَرَحًا. وبعد فَتْرةٍ وَجيزَة، اسْتَسْلَمَتْ لا روشيل.

وفي خِضَمِّ الاحْتِفالات التي أُقيمَت، قامَ روشفور باعْتِقالِ دارتانيان وقادَهُ إلى الكاردينال.

«مسيو، أنت مُتَّهمٌ بتقاسُمِ أسْرارِ الدّولَةِ مَعَ العدوّ»، قال الكاردينال.

«من يتَّهمُني بذلك، يا سيّدي؟» سأله دارتانيان. «هل امرأةٌ موصومَةٌ قامَتْ بخِداعِ زوجها وحاوَلَتْ قَتْلي، هي من تَتَّهمُني؟ يبدو أنَّ صاحِبَ النّيافَةِ يَجْهَلُ الجَرائِمَ التي اقْتَرَفَتْها ميلادي!»

«إن كان هناكَ من دليلٍ على ارتِكابها هذه الجرائِم، يجبُ أن تُعاقَب عليها»، قال الكاردينال.

«ليسَ هناكَ من حاجَةٍ إلى ذلك، مونسينيور»، استطرَد دارتانيان، وأخبرَهُ في ما بعد أنّها خَضَعَتْ للمُحاكَمَةِ وأُعْدِمَت.

إذّاك، انتابَت الكاردينالُ القُشَعْريرَة. لكنّه اعترَضَ قائلاً: «إذاً، فإنّكُمُ اعتبَرْتُم أنْفُسَكُم قُضاة، ونَفَّذتم الحُكْمَ مِن دونِ الاستِحْصال على التَّرخيصِ المطْلوب؟»

«مونسينيور، لديَّ في جيبي إذنٌ موقَّعٌ من قِبَلِكَ يا صاحِبَ النّيافة»، قال دارتانيان.

ثمّ أبرَز دارتانيان له الأمْر الذي أخذَهُ آتوس من ميلادي وأعْطاهُ لدارتانيان كضَمانَةٍ له.

كان دارتانيان مُقْتَنِعًا بأنَّ الكاردينال سوف يعاقِبُه، لكنَّ ريشيليو مَزَّقَ الأمْرَ، وصاغ بِضْعَةَ أسْطُرٍ على قِطْعَةٍ من الوَرَقِ ومَهَرَها بخاتَمِه.

ثمّ قال: «خذ هذا، يا سيدي». أخذَ دارتانيان الوَرَقة بعد تَرَدُّدٍ، ورَنا إليها، فأدْرَكَ أنّها كانَتْ ترقِيَةً لرُتْبَةِ ملازِمٍ أوَّلٍ في سلاح الفُرسان! إذّاك، ارْتَمى دارتانيان عند قَدَمي الكاردينال، وقال: «مونسينيور، أنا لا أستَحِقّ هذا المعروف، إن أصْدقائي الثّلاثَةَ هُمْ أجْدَرُ منّي به».

«أنتَ شابٌّ شُجاع يا دارتانيان»، قال الكاردينال. «افعلْ بهذا التّعيين ما تَشاءُ. لقد تَرَكْتُ مكانَ الاسْمِ فارِغًا.»

غادَرَ دارتانيان الغرفَةَ في حالَةٍ من الذُّهول. ثمّ الْتقَى أصْدِقاءَه، وأخبرَهُم عن الاجتِماع، وأَظْهَرَ لهم التَّرقِيَة. «خُذْها يا آتوس، إنّها لك»، قال دارتانيان.

ابتسم آتوس، وقال «يا صديقي، هذا كثيرٌ جدًّا بالنسبةِ لجُنْديٍّ مِثْل آتوس وأقلّ بكثيرٍ جدًا بالنسبة للكونت دي لا فير. لقدِ اسْتَحقَّيْتَ هذا اللَّقَبَ عن جَدارة».

ثم التفت دارتانيان إلى بورتوس، وقال: «تخيّلْ نفسَكَ في زِيّ ضابطٍ برُتْبَة ملازِم، سوف تبدو في مُنْتَهى الرَّوْعة». فأجابَهُ بورتوس، «سوف أتزوَّجُ الدّوقة حبيبتي. احتفظْ بمَنْصِبِ المُلازم الأوّل لنفسِكَ، يا عزيزي».

فانْبَرَى دارتانيان إلى أراميس وقال: «أنتَ تنطِقُ بالحِكْمَةِ ومعينٌ من الثقافَةِ لا ينْضُب، خذْ يا أراميس هذه التَّرْقِيَة». لكنَّهُ رَفَضَها هو الآخرُ قائلاً: «يا صَديقي، سوفَ ألْتَحِقُ قريبًا بالكَنيسَة. إن مَنْصِبَ المُلازم الأوّل يناسِبُ شَجاعَتَك».

إذّاك قال دارتانيان بعد أنِ اسْتَسْلم: «ولكن سوفَ أَخْسَرُ أَصْدِقائي إن قَبِلْتُ هذا المَنْصِب».

«لسوفَ نَبْقى أَصْدقاءك دائمًا»، أجابَه آتوس، وهو يكْتُبُ اسمَ دارتانيان على الوَثيقة.

ثم اسْتَلَّ آتوس سيفَه، وصاحَ، «الواحِد للكُلّ والكُلّ للواحِد»، فحَذا الآخرونَ حَذْوَه، وهَتَفوا عاليًا «الواحِد للكُلّ والكُلّ للواحِد».

الفرسان الثلاثة

... نجَحَ بلانشيت بتَسْليمِ رسالَةِ الفُرسان
إلى المَلِكَة التي أرْسَلَتْهُ على الفَوْرِ
إلى لُندن مع رسالَةٍ إلى الدّوق. في هذه
الأثْناء، كانَتْ ميلادي قد وَصَلَتْ إلى لُندن
وذَهَبَتْ مباشَرَةً للقاءِ الدّوق.
«آه! جاسوسَةُ الكاردينال قد عادَتْ!»
قال الدّوق ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- رحلة إلى باطن الأرض
- عائلَةُ روبنسون السويسريَّة
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- أطْفالُ سكّة الحديد
- الفرسان الثلاثة
- ديفيد كوبرفيلد
- الحديقة السريّة
- توم سوير
- كتاب الغابة
- أحدب نوتردام
- أوليفر تويست

ISBN: 978-9953-37-915-9

تم تصنيف هذه القصّة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنّف مستوى «ص» ـ «متّقن أدنى»

أكاديميا